أوجز البيان في سيرة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

فضيلة الشيخ زياد بن محي الدين الرفاعي ۞

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، والصلاة والسلام على خير البشر، أتانا بشيراً ونذيراً، فبشرنا بالجنة، وأنذرنا من النار، وقال لنا عن ربّه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠ ـ ٥١].

مُقَدِّمَة:

فإنَّ من أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة محبة أصحاب النبي ﷺ، وعدم سبِّ أحد منهم، وحفظ وصيته فيهم. قال ﷺ: « **لا تسبّوا أحداً من أصحابي** ».[1]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: « وإيّاك شتم أحد من أصحاب محمد ﷺ فيكبّك الله في النار على وجهك ».[2]

وقال التابعي شهاب بن خراش: « أدركت من أدركت من صَدَرَة هذه الأمة وهم يقولون: اذكروا مجلس أصحاب رسول الله ﷺ ما تأتلف عليه القلوب، ولا تذكروا الذي

۞ عضو هيئة التدريس بمعهد الإمام البخاري للشريعة الإسلامية، وخطيب مسجد تل الزفير، يرأس جمعية تجمع سنابل الخير في منطقة عكار ـ شمال لبنان ـ.

[1] أخرجه البخاري (٣٦٧٣) في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: « **لو كنت متخذاً خليلاً** ». ومسلم (٢٥٤١) في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب تحريم سبّ الصحابة رضي الله عنهم.

[2] أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٦٣٣/٤).

شجر بينهم فتحرّشوا عليهم الناس ».[١]

وقال أبو الحسن الأشعري: « ونتولى سائر أصحاب النبي ﷺ ونكفّ عما شجر بينهم ».[٢]

وقال الغزالي: « واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة ﷺ والثناء عليهم، وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيّاً على الاجتهاد ».[٣]

اسمه ونسبه وكنيته ومولده:

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب ملك الإسلام أبو عبد الرحمن القرشي الأموي المكي.[٤]

وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.[٥]

وأخته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان من أبيه وهي أم المؤمنين رضي الله عنها.

قال الذهبي عنها: « وهي من بنات عم الرسول ﷺ وليس في أزواجه من أكرم نسباً إليه منها ».[٦]

ولد قبل البعثة بخمس سنين، وقيل: بسبع، وقيل: بثلاثة عشر. والأول هو الأشهر.[٧]

يلتقي مع النبي ﷺ بالنسب بجده عبد شمس، وكان رجلاً طويلاً أبيضاً جميلاً مهيباً، فهذا أبو سفيان ينظر إليه وهو يحبو فيقول لأمه: « إنّ ابني هذا عظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه، فقالت هند: قومه فقط ؟ ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة ».[٨]

---

[١] سير أعلام النبلاء (٢٨٥/٨) للحافظ الذهبي.

[٢] تبيين كذب المفتري (ص ١٦١) لابن عساكر.

[٣] إحياء علوم الدين (١١٥/١) لأبي حامد الغزالي.

[٤] سير أعلام النبلاء (١٢٠/٣) للحافظ الذهبي.

[٥] سير أعلام النبلاء (١٢٠/٣) للحافظ الذهبي.

[٦] سير أعلام النبلاء (٢١٩/٣) للحافظ الذهبي.

[٧] الإصابة (١٥١/٦) للحافظ ابن حجر العسقلاني.

[٨] البداية والنهاية (٥١٣/٨) للحافظ ابن كثير.

إسلامه:

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أنه رضي الله عنه قال: « أسلمت يوم القضية ـ أي عمرة القضاء سنة ٧ هـ ـ ولكن كتمت إسلامي من أبي، ثم علم بذلك فقال لي: هذا أخوك يزيد هو خير منك على دين قومه. فقلت له: لم آلُ نفسي جهداً، ولقد دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء وإني لمصدق به، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامي فجئته فرحّب بي وكتبت بين يديه ».[١]

وذكر ابن حجر أنه أسلم مع أبيه وأخيه يزيد ﷺ عام الفتح.[٢]

وشارك مع النبي ﷺ في غزوة حنين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ومعاوية من الذين شهدوا غزوة حنين، وكان من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبي ﷺ ».[٣]

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠]. ومعاوية ﷺ ممن وعدهم الله الحسنى، فإنه أنفق في حنين والطائف وقاتل فيهما.[٤]

أحاديث في فضله ﷺ:

عن عبد الرحمن بن أبي عميرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية ﷺ: « **اللهم اجعله هادياً مهدياً واهدِ به** ».[٥]

وقال ﷺ في دعائه لمعاوية ﷺ: « **اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقِهِ العذاب** ».[٦]

وعن أنس بن مالك ﷺ عن خالته أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها قالت: نام

---

[١] البداية والنهاية (٥١٢/٨) للحافظ ابن كثير.

[٢] الإصابة (٤٣٣/٣) للحافظ ابن حجر العسقلاني.

[٣] مجموع الفتاوى (٤٥٨/٤) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

[٤] مجموع الفتاوى (٤٩٥/٤) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

[٥] أخرجه الترمذي (٣٨٤٢) وصححه الألباني في صحيح الترمذي وفي السلسلة الصحيحة (١٩٦٩).

[٦] حسن بالشواهد. انظر كلام الذهبي في السير (١٢٤/٣) وموارد الظمآن للهيثمي تحقيق حسين الداراني (٢٤٩/٧).

النبي ﷺ يوماً قريباً مني، ثم استيقظ يبتسم، فقلت: ما أضحكك ؟ قال: « **أناس من أمتي عرضوا علي، يركبون هذا البحر الأخضر، كالملوك على الأسرة** ». قالت: فادعُ الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام الثانية، ففعل مثلها، فقالت مثل قولها، فأجابها مثلها، فقالت: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: « **أنت من الأولين** ». فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت ﷺ غازياً، أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية، فلما انصرفوا من غزوهم قافلين فنزلوا الشام، فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت.[١]

قال ابن حجر قوله ﷺ: « **ناس من أمتي عرضوا علي غزاة** ». يشعر بأن ضحكه كان إعجاباً بهم وفرحاً لما رأى لهم من المنزلة الرفيعة.[٢]

وما أخرجه البخاري من طريق حرام بنت ملحان رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا** ».[٣]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله ﷺ، فتواريت خلف الباب، قال: فجاء فحطأني حطأة وقال: « **اذهب وادعُ لي معاوية** ». قال: فجئت، فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لي: « **اذهب فادعُ لي معاوية** ». قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال: « **لا أشبع الله بطنه** ».[٤]

قال النووي معلقاً على هذا الحديث: « وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية ﷺ لم يكن مستحقاً للدعاء عليه، فلهذا أدخله في باب من لعنه النبي ﷺ أو سبَّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة، وجعله غيره من مناقب معاوية ﷺ لأنه في الحقيقة يصير دعاءً له ».[٥]

فعن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إنما أنا بشر، وإني اشترطت على ربي عزّ وجل: أي عبد من المسلمين سببته أو شتمته أن يكون ذلك له زكاة**

---

[١] أخرجه البخاري (٢٧٩٩) في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من يصرع في سبيل الله فمات فهو منهم. ومسلم (١٩١٢) في كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر.

[٢] فتح الباري (٧٦/١١).

[٣] أخرجه البخاري (٢٩٢٤) في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم.

[٤] أخرجه مسلم (٢٦٠٤) في كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة.

[٥] شرح صحيح مسلم (١٦٥/١٦).

وأجراً ».[١]

ولهذا قال الذهبي معلقاً: لعل أن يقال: هذه منقبة لمعاوية ﷺ، لقوله ﷺ: « **اللهم من لعنته أو سببته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة** ».[٢]

وقال ابن عساكر عن حديث: « **لا أشبع الله بطنه** ». أصح ما روي في فضل معاوية ﷺ.[٣]

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: « قد يستغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا منه مطعناً في معاوية ﷺ، وليس فيه ما يساعدهم على ذلك، كيف وفيه أنه كان كاتب النبي ﷺ ».[٤]

وكان معاوية ﷺ يكتب الوحي لرسول الله ﷺ.[٥] وكذا رسائل النبي ﷺ إلى زعماء القبائل.[٦] وذلك عندما طلب أبو سفيان ﷺ من النبي ﷺ ذلك.[٧]

فمن ينظر إلى المكانة التي وصل إليها في فترة وجيزة في الدولة الإسلامية الأولى مع أنه يوجد من يكتب للنبي ﷺ الوحي، وإلى القبائل والملوك، يعلم أن النبي ﷺ دعا له.

وقيل في: « **لا أشبع الله بطنه** ». أنها كلمة جرت على عادة العرب نحو: قاتله الله ما أكرمه، ويل أمه وأبيه ما أجوده، مما لا يراد معناه.[٨]

وبذلك تتعدد فضائله في صدر الدولة الأولى في عهد النبي ﷺ وخاصة كاتباً للوحي وللقبائل. وصهره من أخته أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان وخال المؤمنين.

قال الخلال: إن أبا الحارث قال: « وجهنا رقعة إلى أبي عبد الله ـ أحمد بن حنبل ـ ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي ولا أقول إنه خال المؤمنين فإنه أخذها بالسيف غصباً ؟ قال: هذا قول سوء رديء، يجانبون هؤلاء القوم ولا يجالسون

---

[١] أخرجه مسلم (٦٦٠٢) في كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبَّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة.

[٢] سير أعلام النبلاء (١٣٠/١٤) للحافظ الذهبي.

[٣] تاريخ دمشق (٢٤/٦٢) لابن عساكر.

[٤] راجع السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله (١٦٥/١).

[٥] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥١٢/٨).

[٦] الإصابة للحافظ ابن حجر العسقلاني (٤٣٤/٣).

[٧] انظر صحيح مسلم (٢٥٠١) كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي سفيان بن حرب ﷺ.

[٨] الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية ﷺ (ص ٦٩).

ونبيّن أمرهم للناس ».[١]

وجندي في الجيش مشاركاً في حنين وتبوك وغيرها، وحاضراً لعام الوفود وثابتاً على دين الله يوم أن ارتدّ البعض في حياة رسول الله ﷺ وما بعدها. وحافظاً لحديث رسول الله ﷺ وروى عنه مائة وثلاثة وستين حديثاً[٢]، واتفق له البخاري ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة أحاديث ومسلم بخمسة.[٣] وهو الذي روى عن النبي ﷺ: « **من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** ».[٤]

معاوية رضي الله عنه في عهد الخلفاء رضي الله عنهم:

في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

لم يظهر لمعاوية رضي الله عنه في عهده عمل يتولاه بشخصه إلا أنه كان مع جند بني أمية في قتال المرتدين بطلب من الخليفة ـ إذ أن التاريخ لا يذكر أن أحداً من بني أمية ارتدّ عن الدين بعد وفاة رسول الله ﷺ ولذلك كان أول كتاب كتبه أبو بكر رضي الله عنه بشأن حروب الردة إلى عامله على مكة عتاب بن أُسيد الأموي حيث كتب إليه بالركوب إلى من ارتدّ من أهل عمله، بمن ثبت على الإسلام، فواجههم إلى تهامة حتى ظفر بهم.[٥]

وشاركوا في حروب أهل الردة في اليمن وضد مسيلمة الكذاب. وشهد هذه المعركة معاوية رضي الله عنه.[٦]

وبعد حروب الردة وجّه الصديق أربعة جيوش إلى الروم، جعل على قيادة أحدها يزيد بن أبي سفيان، ومشى تحت ركابه يسايره ويودعه ويوصيه، وما ذلك إلا لشرفه، وكمال دينه.[٧] ثم أتبع الصديق بأناس آخرين يرغبون في الجهاد وألحقهم بجيش يزيد

---

[١] السنة للخلال (٤٣٤/٣).

[٢] أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص ٥٥).

[٣] سير أعلام النبلاء (١٦٢/٣).

[٤] انظر سنن الترمذي كتاب العلم، باب ما جاء في تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ. والحديث متواتر أخرجه البخاري (١١٠) في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ. ومسلم (٣) في مقدمة صحيحه، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ.

[٥] تاريخ الطبري (٣١٩/٣).

[٦] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥١٢/١١).

[٧] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٣٢٨/١).

وجعل معاوية بن أبي سفيان أميراً عليهم.[١]

في عهد عمر ﷺ:

انتقل أبو بكر الصديق ﷺ إلى جوار ربه والأمة كلها في جهاد ونشر للتوحيد وخلفه الفاروق ﷺ فأتمَّ هذه المهمة في رفع الراية في سبيل الله، ولذلك كان اختبار الرجال في هذا الميدان عظيم، إذ أنهم لا يسلمون الراية إلا لمن يثقون بدينه أولاً، لأن النصر من عند الله، ويثقون برأيه ثانياً لأن الحرب خدعة.[٢] كما بيّن رسول الله ﷺ. فأرسل عمر ﷺ إلى يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما ليجهز جيشاً بإمرة معاوية ﷺ إلى قيسارية فجاء كتابه: أما بعد، فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير. فسار إليها وحاصرها، وزاحفه أهلها مرات عديدة، فلم ييأس حتى فتح الله على يديه وكان فتحه كبيراً، فقد قتل منهم ما يقرب من ثمانين ألفاً وكمل المائة ألف الذين انهزموا عن المعركة. وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر ﷺ.[٣]

وفي عام الثامن عشر من الهجرة وقع على المسلمين في بلاد الشام طاعون عمواس[٤] فأخذ الموت بأكثر من عشرين ألفاً وكان منهم القادة ﷺ أبو عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان. فولّى عمر ﷺ معاوية ﷺ عمل أخيه، دمشق وبعلبك والبلقاء.[٥] وحين عزَّى عمرُ أبا سفيان في وفاة يزيد قال: يا أمير المؤمنين من وليت مكانه ؟ قال: أخوه معاوية. قال: وصلت رحماً.[٦] ولما قدم عمر ﷺ الشام، تلقاه معاوية ﷺ في موكب عظيم وهيئة فلما دنا منه قال: أنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال: نعم، قال: مع ما بلغني عنك من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك. قال: نعم. قال: ولم تفعل

---

[١] تاريخ الطبري (٣/٣٩١).

[٢] أخرجه البخاري (٣٠٣٠) في كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة. ومسلم (١٧٣٩) في كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب.

[٣] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/٥٨). بتصرف.

[٤] سمي بذلك نسبة إلى بلدة صغيرة يقال لها عمواس، كان أول ما نجم الداء بها، وهي بين القدس ورملة.

[٥] الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٤٠٦).

[٦] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨/٥١٣).

ذلك ؟ قال: نحن في أرض جواسيس، العدو بها كثير، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يرهبهم، فإن نهيتني انتهيت. قال: يا معاوية ! ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، لئن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريب، وإن كان باطلاً فإنه لخدعة أديب. قال: فمرني. قال: لا آمرك ولا أنهاك. فقيل: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر عمَّا أوردته. قال: لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه.[١] ثم جمع عمر ﷺ الشام كلها لمعاوية ﷺ.[٢]

في عهد عثمان بن عفان ﷺ:

حينما جاء إلى الخلافة كان معاوية ﷺ والياً على معظم الشام فأقره عليها.[٣] وضمَّ إلى معاوية ﷺ بعض المناطق الأخر حتى أصبح الوالي المطلق على بلاد الشام، بل أصبح أقوى ولاة عثمان ﷺ، وأشدّهم نفوذاً[٤]، وذلك بعد سنين من خلافته ﷺ.[٥] وبعد أن قاتل في البر وقاد كثيراً من المعارك بنفسه حتى وصل إلى مضيق القسطنطينية وأمَّن الثغور، نشط إلى البحر من جديد، فراسل عثمان بذلك وألحَّ عليه، فردّ عليه الخليفة، أن قد شهدت ما ردّ عليك عمر حين استأذنته في غزو البحر. فإذا ركبت معك امرأتك فاركبه مأذوناً وإلاَّ فلا. واشترط عليه الخليفة بقوله: لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، خيّرهم، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعِنه.[٦] فلما وصل إليه الأمر أعدّ المراكب اللازمة لحمل الجيش الغازي، واتخذ ميناء عكا مكاناً للإبحار، وكانت معه زوجه فاختة بنت قرظة، كما حمل عبادة بن الصامت امرأته أمّ حرام بنت ملحان معه في تلك الغزوة.[٧] ونصر الله عباده، وصالح معاوية ﷺ أهل قبرص على سبعة آلاف دينار كل سنة، وكان ذلك سنة ثمان وعشرين للهجرة. ثم نكثوا عهدهم فقاتلهم وصالحهم على العهد الأول وترك فيها الحامية الإسلامية من عشرة آلاف إلى اثني عشرة ألفاً وبنى بها

---

[١] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣٣/٣).

[٢] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣٢/٣).

[٣] تاريخ خليفة بن خياط (ص ١٥٥).

[٤] تاريخ الطبري (٤٤٢/٥).

[٥] تاريخ الطبري (٤٤٣/٥).

[٦] تاريخ الطبري (٢٦٠/٥).

[٧] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١٥٩/٧).

المسجد وأجرى لهم أرزاقهم.

الخلاف بين أبي ذر ومعاوية رضي الله عنهما:

وفي عام ثلاثين للهجرة وقع الخلاف بين معاوية أمير الشام وأبي ذر رضي الله عنهما في كلام لم يكن يقوله في زمان عمر ﷺ، ويقرّع عمال عثمان ويتلو عليهم قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤]. ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا. فينكر ذلك عليهم، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم. وقال ابن عمر وغيره من الصحابة ﷺ هو غير لازم، إن ما أديت زكاته فليس بكنز. فأعلم معاوية عثمان بذلك وخشي من العامة أن تثور منهم فتنة، فإن أبا ذر ﷺ كان يحملهم على التزهد وأمور لا يحتملها الناس كلهم، وإنما هي مخصوصة ببعضهم. فكتب إليه عثمان أن يقدم المدينة.[1]

موقف معاوية ﷺ في الفتنة:

وفي عام ثلاث وثلاثين سيّر أمير المؤمنين عثمان ﷺ جماعة من قراء أهل الكوفة إلى الشام، وكان سبب ذلك أنهم تكلموا بكلام قبيح في مجلس سعيد بن عامر. فكتب إلى عثمان في أمرهم، فكتب إليه عثمان أن يجليهم عن بلده إلى الشام وكتب عثمان إلى معاوية أن أنزلهم وأكرمهم وتألفهم. فلما قدموا إليه أنزلهم وأكرمهم، واجتمع بهم ووعظهم ونصحهم فيما يعتمدونه من اتباع الجماعة وترك الانفراد والابتعاد، فأجابه متكلمهم بكلام فيه بشاعة وشناعة فاحتملهم معاوية لحلمه، ثم بذل لهم النصح مرة أخرى فإذا هم يتمادون في غيهم، ويستمرون على جهالتهم وحماقتهم، فعند ذلك أخرجهم من بلده ونفاهم عن الشام لئلا يشوشوا عقول الطغام، وذلك أنه كان يشتمل مطاوي كلامهم على القدح في قريش كونهم فرطوا وضيعوا ما يجب عليهم القيام فيه من نصرة الدين وقمع المفسدين، وإنما يريدون بهذا التنقص والعيب ورجم الغيب وكانوا يشتمون عثمان أمير المؤمنين وسعيد بن العاص أمير الكوفة، وهم كميل بن زياد، والأشتر النخعي واسمه مالك بن يزيد، وعلقمة بن قيس النخعيان، وثابت بن قيس

---

[1] العواصم من القواصم لابن العربي المالكي (ص ٨٦ ـ ٨٨).

النخعي، وجندب بن زهير العامري، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمر ابن الحمق الخزاعي.[١]

فكتب معاوية عن حالهم إلى أمير المؤمنين قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عثمان أمير المؤمنين، أما بعد: فإنك بعثت إليَّ أقواماً يتكلمون بألسنة الشياطين وما يملون عليهم، ويأتون الناس ـ زعموا ـ من قبل القرآن فيشبهون على الناس، وليس كل الناس يعلم ما يريدون، وإنما يريدون فرقةً ويقربون فتنةً، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكنت رقى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم وفجورهم، فارددهم إلى مصرهم، فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم.[٢]

مشورة معاوية لعثمان رضي الله عنهما في أهل الفتنة:

بعث عثمان ﷺ إلى ولاة الأمصار لدراسة أسباب الفتنة ومحاولة علاجها، وكانوا: عبد الله بن عامر، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيد بن العاص وعمرو بن العاص، وهم من الولاة السابقين، وقال فيه كل المشاركين برأيه، وكان رأي معاوية: أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله، وأكفيك أنا أهل الشام.[٣] ومنع عثمان الولاة من التنكيل بمثيري الشغب، وحبسهم، أو قتلهم، وقرَّر أن يعلّمهم بالحسنى واللين.

وقبل أن يتوجه معاوية إلى الشام أتى عثمان، وقال له: يا أمير المؤمنين انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من الأمور والأحداث ما لا قبل لك بها. قال عثمان: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وإن كان فيه قطع خيط عنقي. قال له معاوية: إذاً أبعث إليك جيشاً من الشام يقيم في المدينة لمواجهة الأخطار المتوقعة، ليدافع عنك وعن أهل المدينة. قال عثمان: لا حتى لا أقتر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجند تساكنهم، ولا أضيق على أهل دار الهجرة والنصرة. قال معاوية: يا أمير المؤمنين والله لتُغتلنَّ أو لتُغزينَّ

---

[١] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١٧٨/٧).

[٢] تاريخ الطبري (٣٣١/٥).

[٣] تاريخ الطبري (٣٥١/٥).

قال عثمان: حسبي الله ونعم الوكيل.[١]

ولقد حدث كل ما توقعه معاوية، ولم يكن في هذه الفتنة أحد من أهل الشام.

في عهد علي بن أبي طالب ﷺ:

ولمَّا تسلم علي ﷺ الخلافة قام بعزل جميع الولاة المعينين من قبل عثمان واستبدلهم بغيرهم. هذا وقد اختار مكان معاوية في أول الأمر عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فأبى عليه قبول ولاية الشام واعتذر من ذلك، وذكر له القرابة والمصاهرة التي بينهم[٢] ثم خرج ليلاً إلى مكة[٣] ثم أرسل سهيل بن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيَّ وهلا بك، وإن كان بعثك غيره فارجع.[٤] ثم وصل النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التي قطعت حين دافعت بيدها عنه ﷺ. وبذلك يكون أهل الشام ومعاوية لم يبايعوا لأمير المؤمنين علي ﷺ.[٥] وكانت أسباب عدم البيعة تباين المواقف بينهما: فهؤلاء - أي أهل العراق - يدعون إلى عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام، وهؤلاء - أي أهل الشام - يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يأوي القتلة.[٦] وأما من قال أن سبب عدم البيعة أن معاوية ﷺ يريدها لنفسه فليس بصحيح، وفي هذا يقول الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب، لم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة، للإجماع على أحقيتها لعليّ، فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما

---

[١] تاريخ الطبري (٣٥٣/٥).

[٢] مصنف ابن أبي شيبة (٤٧٢/٧).

[٣] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٢٢٤/٣).

[٤] تهذيب تاريخ دمشق (٣٩/٤).

[٥] قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الوصية الكبرى ص (٢٣): « اتفق أصحاب رسول الله ﷺ على بيعة عثمان ﷺ بعد عمر ﷺ، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة** ». فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ آخر الخلفاء الراشدين المهديين، وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ﷺ ».

[٦] العواصم من القواصم لابن العربي المالكي (ص ١٦٢).

هاجت بسبب أن معاوية ابن عمّه فامتنع علي.[١]

وعن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً، أم أنت مثله ؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتوه فقولوا له: فليدفع إليّ قتلة عثمان، وأسلم له، فأتوا علياً فكلموه، فلم يدفعهم إليه.[٢]

معركة صفين بين أهل العراق وأهل الشام:

قال حذيفة بن اليمان لمّا بلغه قتل عثمان: اللهم إنك تعلم براءتي من دم عثمان، فإن كان الذين قتلوه أصابوا، فإني بريء منهم، وإن كانوا أخطؤوا فقد تعلم براءتي من دمه، وستعلم العرب لئن كانت أصابت بقتله، لحلبنا بذلك لبناً، وإن كانت أخطأت بقتله لتحلبن بذلك دماً، فاحتلبوا بذلك دماً، ما رفعت عنهم السيوف، ولا القتل.[٣]

وفي العام السادس والثلاثين للهجرة كانت موقعة صفين بين جند العراق وجند الشام، وهاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف، فلم يحضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين.[٤]

ووصلت الجيوش إلى صفين من الفرات شرقي بلاد الشام، وكان وصول معاوية وجنده قبل علي وجنده، وقبل ذلك أرسل علي إلى معاوية جرير بن عبد الله البجلي لإخباره عن موقعة الجمل والتفاوض معه للتسليم والمبايعة، ويعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، فلما انتهى إليه جرير، أعطى معاوية كتب علي ﷺ، وطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان.[٥] ثم حجز جيش معاوية الماء، وعطش جيش علي ثم أرسل علي الأشعث بن قيس في ألفين ودارت أول معركة بين الفريقين، انتصر فيها واستولى على الماء.[٦] ولم يكن القتال على الماء جدياً، وقد قال عمرو بن العاص يومئذ: ليس من المنصف أن نكون ريانين وهم

---

[١] الصواعق المحرقة (٦٢٢/٢).

[٢] فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني (٩٢/١٣).

[٣] تحقيق موقف الصحابة ﷺ (٢٨/٢).

[٤] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٢٧٠/٧).

[٥] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٢٦٥/٧).

[٦] مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٤/١٥).

عطاش.[١] وكان ذلك في ذي الحجة، وقامت حروب ومناوشات بين المعسكرين على شكل فرق صغيرة تتكون من ألفين أو يزيد قليلاً، كل يوم له أمير من كلا الطرفين، فلما انسلخ ذو الحجة ودخل المحرم تداعى الناس للمتاركة، لعل الله أن يصلح بينهم على أمر يكون فيه حقن دمائهم.[٢]

ثم تراسل الفريقين، وعلي ﷺ يطالب معاوية ﷺ وأهل الشام بالبيعة، ومعاوية ﷺ يطالب أن يقتل قتلة عثمان ﷺ أولاً، ثم وقعت المعركة في شهر صفر من العام السابع والثلاثين أياماً عدة، يصمد كلا الفريقين للآخر والحروب سجال، وقتل عمار بن ياسر رضي الله عنهما وهو في صف علي، وقد جاوز من العمر الرابعة والتسعين عاماً، وكان يحارب بحماس، يعرض الناس، ويستنهض الهمم، ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو، فقد سمع رجلاً بجواره يقول: كفر أهل الشام، فنهاه عمار عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نقاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحد ونبينا واحد وقبلتنا واحدة.[٣] قال رسول الله ﷺ: « **تقتل عماراً الفئة الباغية** ».[٤]

قال ابن حجر: « وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعلي ولعمار رضي الله عنهما، وردٌّ على النواصب[٥] الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه.[٦] ودلَّ على أن علياً كان المصيب في تلك الحرب، لأن أصحاب معاوية قتلوه ».[٧]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتله مخطئ ـ وإن كان متأولاً ـ أو باغٍ بلا تأويل ـ وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرّعوا على ذلك قتل البغاة المتأولين ».[٨]

---

[١] العواصم من القواصم لابن العربي المالكي (١٧٥).

[٢] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٢٧٥/٧).

[٣] مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٠/١٥).

[٤] مسلم (٢٩١٦) في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

[٥] هم الذين ناصبوا علياً ﷺ العداء.

[٦] فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني (٦٤٦/١).

[٧] فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني (٩٢/١٣).

[٨] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٣٧/٤ ـ ٤٣٨).

ولمّا وقع القتل في جند الشام حتى اعتصموا بتلّ، قال عمرو بن العاص ﷺ لمعاوية ﷺ: « أرسل إلى علي بمصحف وادعُه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٣]. فقال علي: نعم، أنا أولى الناس بذلك، بيننا كتاب الله. قال الراوي: فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء وسيوفهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما ننتظر بهؤلاء القوم الذين على التل، ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فتكلم سهل بن حنيف فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم ـ ثم ذكر يوم الحديبية وما حصل فيها من الصلح. فقال علي ﷺ يوم وقع الصلح بينه وبين معاوية في صفين: أيها الناس إن هذا فتح.[١] ورغب أكثر الناس من العراقيين وأهل الشام بكمالهم إلى المصالحة والمسالمة مدة، لعله يتفق أمر يكون فيه حقن دماء المسلمين، فكل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر ما ليس في الدنيا مثله، ولهذا لم يفرَّ أحد عن أحد، بل صبروا حتى قتل من الفريقين واحد وسبعون ألفاً ».[٢]

قصة التحكيم:[٣]

واتفق الطرفان أن يكون التحكيم في شهر رمضان عام سبعة وثلاثين للهجرة، وذلك إن لم يحدث عوائق، وكان من فريق علي الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، وعمرو بن العاص عن معاوية رضي الله عنهم أجمعين في دومة الجندل.[٤]

وأما علي فقد اختلف الناس معه، وأصرّ القراء على أبي موسى لأنه اعتزل الفتنة والقتال، وكان علياً يريد أن يوكل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.[٥]

وبعد توقف القتال والرضا بالتحكيم ورجوع كل فريق إلى موقعه استقر الأمر في بلاد الشام، ووقعت الفرقة في العراق، وخاصة من الخوارج الذين قاتلهم علي ﷺ بعد

---

[١] مصنف ابن أبي شيبة (٨/٣٣٦). مسند أحمد مع الفتح الرباني (٨/٤٨٣).

[٢] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/٢٩٣).

[٣] وفي قصص التحكيم المكذوبة يرجع إلى كتاب العوصم من القواصم لابن العربي المالكي ص (١٧٥).

[٤] تاريخ خليفة خياط (ص ١٩١ ـ ١٩٢).

[٥] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/٣٩٥).

ما أفسدوا في الأرض، ومن شيعته الذين قال فيهم: اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم، ووضع يده على لحيته.[١] فقتله فيما بعد رجل من الخوارج اسمه عبد الرحمن بن ملجم، ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته ؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم.[٢]

معاوية ﷺ والحسن بن علي رضي الله عنهما:

ولما ضُرب أمير المؤمنين علي قيل له: استخلف، فقال: لا، ولكن أدعكم كما تركَكم رسول الله ﷺ - يعني بغير استخلاف - فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ.[٣]

وبعد مقتل علي ﷺ صلّى عليه الحسن رضي الله عنهما وكبّر عليه أربع تكبيرات، ودفن في الكوفة، وكان أول من بايع الحسن قيس بن سعد، قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ وقتال المخالفين، فقال له الحسن ﷺ: على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط، فبايعه وسكت، وبايع الناس، وقد اشترط على أهل العراق عندما أرادوا بيعته، فقال لهم: إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت.[٤] وهذا مقدمة للصلح وكان الخليفة وأمير المؤمنين بعد أبيه.

قال ابن كثير: « والدليل على ذلك الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة أن رسول الله ﷺ قَالَ: « **الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً** ».[٥] وإنما أكملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال الثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة ».[٦]

---

[١] مصنف عبد الرزاق (١٥٤/١٠).

[٢] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١٣٣/٨).

[٣] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٤٠٢/٨).

[٤] تاريخ الطبري (٧٣/٦).

[٥] أخرجه الترمذي (٢٢٢٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[٦] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٤٠٤/٨).

فعن أبي موسى قال: سمعت الحسن يقول: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تَقْتُل أقرانها، فقال معاوية ـ وكان والله خير الرجلين ـ: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس ؟ من لي بنسائهم ؟ من لي بضيعتهم ؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس ـ عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز ـ فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه. فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه. فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها. قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك. قال فمن لي بهذا ؟ قالا: نحن لك به. فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به. فصالحه . فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر ـ والحسن بن علي إلى جنبه ـ وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: « **إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** ».[1]

وبتنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما اكتملت عوامل تولي الخلافة، وتهيأت له جميع أسبابها، فبويع أميراً للمؤمنين عام واحد وأربعين للهجرة، وسمي هذا العام بعام الجماعة.[2] فمعاوية ﷺ أفضل ملوك هذه الأمة، والذين كانوا قبله خلفاء نبوة، وأما هو فكانت خلافته ملكاً، وكان ملكه ملكاً ورحمة، وكان في ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين ما يعلم به أنه كان خيراً من غيره من الملوك.

الخلافة في عهد معاوية ﷺ:

الحياة السياسية:

لقد بيّن منهجه في الحكم في خطبته التي ألقاها من على منبر رسول الله ﷺ فقال ﷺ بعد الحمد والثناء على الله: أما بعد، فإني والله وليت أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم لا تسرون بولايتي ولا تحبونها، وإني لعالم بما في نفوسكم من ذلك، ولكني خالستكم بسيفي هذا مخالسة، ولقد رمت نفسي على عمل ابن أبي قحافة فلم

---

[1] أخرجه البخاري (٢٧٠٤) في كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: « **ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين** ». وقوله جلّ ذكره: ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩].

[2] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣٧/٣).

أجدها تقوم بذلك ولا تقدر عليه، وأردتها على عمل ابن الخطاب فكانت أشد نفوراً وأعظم هرباً من ذلك، وحاولتها على مثل سنيات عثمان فأبت علي، وأين مثل هؤلاء ؟ ومن يقدر على أعمالهم ؟ هيهات أن يدرك فضلهم أحد ممن بعدهم، رحمة الله ورضوانه عليهم، غير أني سلكت بها طريقاً فيه منفعة، ولكم فيه مثل ذلك، ولكل فيه مواكلة حسنة ومشاربة جميلة ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة، فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم، والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه، ومهما تقدم مما علمتموه فقد جعلته دبر أذني، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فارضوا مني ببعضه فإنها بقابة قوبها، وإن السيل إذا جاء يبري، وإن قل أغنى، وإياكم والفتنة فلا تهموا بها، فإنها تفسد المعيشة، وتكدر النعمة، وتورث الاستيصال. أستغفر الله لي ولكم، أستغفر الله، ثم نزل.

قال أهل اللغة القابة: البيضة. والقوب: الفرخ. قابت البيضة تقوب إذا انفلقت عن الفرخ.[1]

وهكذا بيّن علمه بالناس، وأن حكمه لا يكون مثل الأفاضل في الخلافة، وفي ذلك قطع لموضوع المقارنة بينه وبين من سبقه في تولي أمور المسلمين. ثم بيّن لهم حكمه إن وجدوه لم يقم بما يجب، أن يرضوا منه بما أعطى، وحذر من الفتنة لأنها ضد النعمة.

أهل الشورى:

عندما آلت الخلافة إليه، لم يكن ممن يجهل فوائد الشورى ويهمل الأخذ بها، وما كان يصدر في المهمات إلا عن مشورة من ذوي الرأي من الولاة ووجوه الناس وأشراف القوم وأهل العلم. وكان كبار مستشاريه عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما.[2]

أهل الحل والعقد:

والذي تحقق في عهده ﷺ أن أهل الحل والعقد هم الولاة، وزعماء القبائل، وقادة الجيوش ونحوهم، وتركزت الشوكة والقوة الفعلية في أهل الشام، حيث كانوا قادرين

---

[1] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٢٨/٨).

[2] تاريخ الحضارة العربية والإسلامية (ص ٥٥).

على الاختيار وتحقيق إرادتهم وإمضاء رغبتهم على مخالفيهم.[١]

الولاة:

استعان بأهل الصحبة والكفاية والولاء وجعلهم ولاة على الأمصار، ومع أن معاوية ﷺ اختار بعض أعوانه من أهل بيته يوليهم الولايات، إلا أنه كان يختبرهم في ذلك بالمهام الصغيرة ويوسع عليهم على قدر اتساع مداركهم.[٢]

الولايات:

كانت أهم الولايات في عهده الحجاز والكوفة والشام.

أوصى معاوية ابنه يزيد فقال: انظر أهل الحجاز فإنهم أهلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعهد من غاب، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أحب إليّ من أن تشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام، فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم.[٣]

القضاء:

يعتبر القضاء في عهد معاوية ﷺ امتداداً للعهد الراشدي في عدة جوانب، فبقي كثير من الصحابة ﷺ إلى العهد الأموي، وشاركهم في العلم والفقه والقضاء، وبقيت آثار التربية الدينية وسمو العقيدة وآثار الإيمان والالتزام بأهداب الدين، وظهر عدد كبير من المجتهدين الذين كانوا صلة الوصل بين الصحابة ﷺ والتابعين.[٤]

من القضاة الذين عملوا لمعاوية ﷺ:

فضالة بن عبيد في الشام بترشيح من أبي الدرداء ﷺ. وكان قاضي المدينة أبو هريرة ﷺ. وفي الكوفة شريح القاضي الذي جعله على القضاء عمر بن الخطاب ﷺ[٥] وغيرهم من خيار التابعين المشهود لهم بالعلم والفقه وحسن القضاء. وقال سعد بن أبي وقاص ﷺ: ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب ـ يعني معاوية ﷺ ـ.

---

[١] الدولة والمجتمع في العصر الأموي (ص ١٢٨).

[٢] خلافة معاوية ﷺ للعقيلي (ص ٧٥). بتصرف.

[٣] التاريخ الإسلامي (١٢١/٤).

[٤] تاريخ القضاء في الإسلام (ص ١٦٥).

[٥] تاريخ القضاء في الإسلام (ص ٢٠٧).

الحياة الاجتماعية:

خطب معاوية ﷺ فقال فيها: « فأنا ابن بضع وستين، فرحم الله من دعا لي بالعافية، فوالله لئن عتب علي بعض خاصتكم، لقد كنت حدباً[١] على عامتكم ». فعجّ الناس يدعون له، وبكى.[٢]

وأغلظ رجل لمعاوية ﷺ فقال: أنهاك عن السلطان، فإن غضبه غضب الصبيّ، وأخذه أخذ الأسد.[٣] وكان ملكه ملكاً ورحمة.[٤]

عن أبي الحسن قال: قال عمرو بن مرة ﷺ لمعاوية ﷺ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته** ». فجعل معاوية ﷺ رجلاً على حوائج الناس.[٥]

وكان يخرج للعامة ويصلّي بهم ويجلس إليهم، ويأكل معهم ويغلب الناس. قال ابن عباس رضي الله عنهما: « علمت بما كان معاوية يغلب الناس. كان إذا طاروا وقع، وإذا وقعوا طار. وكان الرجل يقول لمعاوية: والله لتستقيمن بنا يا معاوية، أو لنقوِّمنَّك. فيقول: بماذا ؟ فيقول: بالخُشب ـ أي السيف ـ. فيقول: إذاً أستقيم ».[٦]

الحياة الاقتصادية:

أما بالنسبة إلى الموارد الاقتصادية لدولته فلم تتغير عن دولة الخلافة الراشدة من حيث جباية الزكاة وما يدفع من الجزية من أهل الذمة، والخراج[٧] التي كانت الريادة في تنظيمه لسياسة عمر بن الخطاب ﷺ المالية[٨]، والصوافي وهو ما اصطفاه الإمام لبيت المال من أرض الفيء، كما فعل رسول الله ﷺ، أو من البلاد المفتوحة عنوة بحق الخمس

---

[١] حدباً: يقال حدب فلان على فلان يحدب حدباً فهو حدب، وتحدب: تعطف وحنا عليه، يقال: كالوالد الحدب.

[٢] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٥٦/٣).

[٣] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٥٢/٣).

[٤] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٧٨/٤).

[٥] رواه الترمذي (١٣٣٢) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[٦] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٥٤/٣).

[٧] وهو إيراد الأراضي التي افتتحها المسلمون عنوة، وأوقفها الإمام لصالح المسلمين على الدوام. انظر: الاستخراج لأحكام الخراج (ص ٤٠).

[٨] التطور الاقتصادي في العصر الأموي (ص ٧٣).

أو باستطابة نفوس الغانمين، كما فعل عمر بن الخطاب ﷺ.[١] وخمس الغنائم التي غلب عليها جيش المسلمين في الفتوحات، وقد اتبع النظام العمري في هذا الأمر.[٢]

أهم سُبل الإنفاق في عصره:

١ ـ الجند والنفقات العسكرية:

عمل على تحسين حالة الجند المعيشية فزاد في أعطياتهم، بسبب الظروف المستجدة وتحسن الأحوال الاقتصادية في الدولة[٣]، وإثبات ذلك في الدواوين.

٢ ـ المجتمع:

كان أمير المؤمنين معاوية ﷺ يتفقد أحوال القبائل كجزء من سياسته في حفظ التوازن بين قبائل اليمن والقبائل القيسية ـ مضر ـ. وكان قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب بمصر رجلاً يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول: هل ولد فيكم مولود ؟ وهل نزل بكم نازل ؟ فيقال: ولد لفلان غلام ولفلان جارية، فيقال: سموهم ؟ فيكتب.[٤]

٣ ـ النفقات الإدارية:

وكانت في رواتب الموظفين والعاملين في الشرطة والقضاة ليتفرغوا للقضاء.[٥]

٤ ـ الاهتمام بالزارعة والإنفاق عليها:

وكان اهتمام الدولة بإحياء الأرض الموات من أراضي الصوافي وغيرها من الأراضي المفتوحة الخصبة، وبالذات إقليم العراق وما شابهه. وقد ساعدهم في ذلك حجم السيولة المالية التي يملكونها، فقد أحيا والي معاوية ﷺ على خراج العراق أرضين من البطحائح، وقد بلغت غلتها خمسة ملايين درهم.[٦]

٥ ـ الاهتمام بالدواوين:

كان هناك دواوين مركزية تابعة لمعاوية ﷺ منها:

---

[١] الأحكام السلطانية (ص ١٩٢).

[٢] الإدارة في العصر الأموي (ص ٢١).

[٣] حسن المحاضرة للسيوطي (٦٥/١).

[٤] حسن المحاضرة للسيوطي (٦٥/١).

[٥] الإدارة في العصر الأموي (ص ٣١٠).

[٦] فتوح البلدان (ص ٢٩١).

أ ـ **ديوان الرسائل**: وهي الهيئة المشرفة على تحرير رسائل الخليفة وأوامره وعهوده ووصاياه ومواثيقه إلى الموظفين في الأقاليم الإسلامية، وإلى البلدان الخارجية التي لها علاقة بالدولة الإسلامية.[١]

ب ـ **ديوان الخاتم**: أنشأ معاوية ﷺ ديوان الخاتم لتحقيق السرية والأمان لمراسلات الدولة فلا تطلع عليها عين جاسوس ولا تصل إليها يد خائن.[٢]

ج ـ **ديوان البريد**: كان معاوية ﷺ أول من أدخل نظام البريد في الدولة الإسلامية، وأصدر أوامره بوضع الخيول في عدة أماكن، وقام بتنظيمه.[٣]

د ـ **نظام الكتبة**: كان هناك كاتب لديوان الرسائل، وآخر لديوان الخراج، وثالث لديوان الجند والشرطة والقضاء، ويقوم الموظفون فيه بنسخ أوامر الخليفة وإيداعها ديوان الخاتم، بعد أن تحزم وتختم بالشمع، ثم تختم بخاتم صاحب الديوان.[٤]

الجهاد في عهد معاوية ﷺ:

عندما اجتمع الأمر عليه ورتّب الأمور داخل الدولة، وذلك في عام الجماعة، قام بغزو منطقة اللان في بلاد الروم، وذلك في عام ثِنتين وأربعين[٥]، وبعد ذلك كانت في كل سنة تخرج جيوش الإسلام للجهاد في سبيل الله.

وفي عهده عام تسعة وأربعين وصل الجيش الإسلامي إلى أسوار القسطنطينية وشارك بها كبار الصحابة ﷺ من أمثال أبي أيوب الأنصاري ﷺ وأبناء الصحابة ﷺ ابن عمر وابن عباس وابن الزبير ﷺ.[٦]

ورتبت الدولة الإسلامية في عهده الصوائف والشواتي، ولم تكن حركة الجهاد تفتر في وقت من الأوقات، والفتوح تأتي إليه في كل حين بالتبشير بالنصر.

وكذلك الأمر فتوحات المغرب العربي، وكانت في عام الجماعة الواحد والأربعين للهجرة فتح قمونية موضع القيروان، ثم حمل الراية عقبة بن نافع

---

[١] إدارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والأموي (ص ١١٤).

[٢] الدولة الأموية المفترى عليها (ص ٤٣٣).

[٣] إدارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والأموي (ص ١٧٤).

[٤] تاريخ الإسلام (٤٥٨/١).

[٥] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٤١٢/٨).

[٦] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٤٢١/٨).

حـتى وصل إلى المحيط.[١]

من صفات معاوية ﷺ:

١ ـ **العلم والفقه**: فعن ابن أبي مليكة قال: قيل لابن عباس رضي الله عنهما: هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة ؟ قال: « أصاب، إنه فقيه ».[٢]

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: « ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا ». يعني معاوية ﷺ.[٣]

فهذه شهادة الصحابة ﷺ بفقهه ودينه، والشـاهد بـالفقه ابن عباس رضي الله عنهما وبحسن الصلاة أبو الدرداء ﷺ، وهما من هما، والآثار الموافقة لهذا كثير.

٢ ـ **تمسكه بالسنة النبوية**: خرج معاوية ﷺ فقام عبد الله بن الزبير وابن صفوان حين رأوه،فقال: اجلسا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من سرَّه أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار** ».[٤]

٣ ـ **الحلم والأناة**: وذكر عبد الملك بن مروان يوماً معاوية ﷺ فقال: ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه. وقال له رجل: يا أمير المؤمنين، مـا أحلمك ؟ فقال: إني لأستحيي أن يكون جرم أحد أعظم من حلمي. وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كان معاوية ﷺ يتمثل بهذه الأبيات كثيراً:

فمـا قتـل الـسفاهة مثـلُ حلـم ... يعـود بـه علـى الجهـل الحلـيمُ
فـلا تـسفه وإن ملِّئـت غيظـاً ... علـى أحـدٍ فـإن الفحـش لـومُ
ولا تقطـع أخـاً لـك عنـد ذنـب ... فـإن الـذنب يغفـره الكـريم[٥]

٤ ـ **تواضعه وورعه**: كان يقول في الخطب: أيها الناس ما أنا بخيركم، وإن منكم لمن هو خير مني، عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية، وأنكاكم في عدوكم، وأدرككم حلباً.[٦]

---

[١] التاريخ الإسلامي (١٠٧/٤).

[٢] البخاري (٣٧٦٥) في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب ذكر معاوية ﷺ.

[٣] مجمع الزوائد للهيثمي (٣٥٧/٩) وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير قيس بن الحارث المذحجي، وهو ثقة.

[٤] أخرجه الترمذي (٢٧٥٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[٥] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨/ ٥٣٠ ـ ٥٣١).

[٦] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٢٩/٨).

وقال ابن سيرين: جعل معاوية ﷺ لما احتضر يضع خداً على الأرض ثم يقلب وجهه ويضع الخد الآخر ويبكي ويقول: « اللهم إنك قلت في كتابك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] اللهم فاجعلني فيمن تشاء أن تغفر له ». وقال: « اللهم أقل العثرة، واعفُ عن الزلّة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرجُ غيرك، فإنك واسع المغفرة، ليس لذي خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك ».[1]

٥ ـ **البكاء من خشية الله** : روي في مجلس معاوية ﷺ حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يقتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله تبارك وتعالى للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما عُلِّمت ؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله تبارك وتعالى له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال إن فلاناً قارئ فقد قيل ذاك. ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك. ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله له: في ماذا قتلت ؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله تعالى له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذاك** ». ثم ضرب رسول الله ﷺ ركبتي فقال: « **يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة** ». فعندما سمع معاوية ﷺ هذا الحديث قال: قد فعل بهؤلاء مثل هذا فكيف بمن بقي من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاء شديداً حتى ظن من حوله أنه هلك.[2]

٦ ـ **شجاعته وإقدامه**:

جهاده ضد الروم: ففي عام خمس وعشرين للهجرة قام بجولة عسكرية على

---

[1] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٣٨/٨).

[2] رواه الترمذي (٢٣٨٢) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

الثغور الشامية.[١] كما قام بنفسه بحملة أخرى يريد التوغل في أرض الروم. ومرّ على ملطية فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما، كما غزا حصن المرأة.[٢] ولما اطمأن إلى قوته، قاد بنفسه عام اثنين وثلاثين للهجرة التوغل بأرض الروم حتى وصل إلى مضيق القسطنطينية.[٣] وكان أول قائد من هذه الأمة ركب البحر، وأخذ معه زوجته فاختة بنت قرظة.

٧ ـ **الذكاء والدهاء**: كان عمر ﷺ يقول: تعجبون من دهاء هرقل وكسرى وتدعون معاوية.[٤] ولما قدم عمر ﷺ الشام، تلقاه معاوية ﷺ في موكب عظيم وهيئة، فلما دنا منه قال: أنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال: نعم، قال: مع ما بلغني عنك من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك. قال: نعم. قال: ولم تفعل ذلك ؟ قال: نحن في أرض جواسيس، العدو بها كثير، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يرهبهم، فإن نهيتني انتهيت. قال: يا معاوية ! ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، لئن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريب، وإن كان باطلاً فإنه لخدعة أديب.[٥]

ثناء الصحابة ﷺ على معاوية ﷺ:

١ ـ قال علي بن أبي طالب ﷺ: « لا تكرهوا إمارة معاوية، فوالله لئن فقدتموه لترون رؤوساً تندر عن كواهلها كأنها الحنظل ».[٦]

٢ ـ قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: « ما رأيت أحداً أسود من معاوية ». قال: قلت ولا عمر ؟ قال: « كان عمر خيراً منه، وكان معاوية أسود ».[٧]

٣ ـ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: « لله درّ ابن هند ما أكرم حسبه، وأكرم مقدرته، والله ما شتمنا على منبر قط، ولا بأرض، ضناً منه بأحسابنا حسبه ».[٨]

---

[١] فتوح البلدان (ص ٦٩).

[٢] فتوح البلدان (ص ١٨٧).

[٣] تاريخ خليفة خياط (ص ١٦٧).

[٤] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣٤/٣).

[٥] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣٣/٣).

[٦] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٢٦/٨).

[٧] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٥٢/٣).

[٨] تاريخ دمشق لابن عساكر (١٢٨/٦٢ ـ ١٢٩)

وقد شهد له بأنه فقيه. وقال أيضاً: « ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية ».[١]

٤ ـ قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: « ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب ». يعني معاوية.[٢]

٥ ـ قال أبو الدرداء ﷺ: « ما رأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من أميركم هذا ». يعني معاوية.[٣]

٦ ـ كان أبو هريرة ﷺ يمشي في أسواق المدينة وهو يقول: « ويحكم، تمسكوا بصدغي معاوية، اللهم لا تدركني إمارة الصبيان ».

ثناء التابعين على معاوية ﷺ:

١ ـ **سعيد بن المسيب**: قال ابن وهب عن مالك عن الزهري قال: « سألت سعيد بن المسيِّب عن أصحاب رسول الله ﷺ فقال لي: اسمع يا زهري، من مات محباً لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وشهد للعشرة بالجنة، وترحم على معاوية، كان حقيقاً على الله أن لا يناقشه الحساب ».[٤]

٢ ـ **مجاهد**: قال الأعمش عن مجاهد أنه قال: « لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي ».[٥]

٣ ـ قال **عبد الله بن المبارك**: « معاوية عندنا منحة، فمن رأيناه ينظر إليه شزراً اتهمناه على القوم، يعني الصحابة ﷺ ».[٦]

٤ ـ قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: « واتفق العلماء على أن معاوية ﷺ أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك،وكان ملكه ملكاً ورحمةً».[٧]

٥ ـ **عمر بن عبد العزيز**: وعن إبراهيم بن ميسرة قال: « ما رأيت عمر بن عبد

---

[١] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨/٥٣٠).

[٢] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٣/١٥٠).

[٣] مجمع الزوائد (٩/٣٥٧).

[٤] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨/٥٣٤).

[٥] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨/٥٣٠).

[٦] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨/٥٣٤).

[٧] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٤٧٨).

العزيز ضرب إنساناً قط إلا إنساناً شتم معاوية ».[١]

٦ ـ قال **الحافظ الذهبي رحمه الله**: « أمير المؤمنين ـ معاوية ـ ملك الإسلام. وحسبك بمن يؤمره عمر ثم عثمان على إقليم ـ هو ثغر ـ فيضبطه ويقوم به أتم قيام، ويرضى الناس بسخائه وحلمه، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه ورأيه ».[٢]

٧ ـ قال **ابن أبي العز الحنفي**: « وأول ملوك المسلمين معاوية ﷺ، وهو خير ملوك المسلمين ».[٣]

وفاته ﷺ:

قال ابن سيرين: جعل معاوية ﷺ لما احتضر يضع خداً على الأرض ثم يقلب وجهه، ويضع الخد الآخر ويبكي ويقول: « اللهم إنك قلت في كتابك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] اللهم فاجعلني فيمن تشاء أن تغفر له ». ثم قال: « اللهم أقل العثرة، واعفُ عن الزلّة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرجُ غيرك، فإنك واسع المغفرة، ليس لذي خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك ».

وتوفي بدمشق في رجب سنة ستين[٤] وعاش سبعاً وسبعين سنة.[٥]

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

[١] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٣٥/٨).

[٢] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣٢/٣ ـ ١٣٣).

[٣] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص ٧٢٢).

[٤] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٣٨/٨).

[٥] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٦٢/٣).